المبحث الأول

مكة قُبَيل البعثة المحمدية

● عبد المطلب بن هاشم وولده عبد الله

- وأنا أبدأ بعرض الصورة الأرضية المزورة للبعثة المحمدية بقصة عبد المطلب بن هاشم ، جدِّ النبي محمد (ﷺ) .

- وتقول الأخبار إن عبد المطلب كان قد نذر لئن وُلد له عشرة أولاد ، وبلغوا معه حتى يمنعوه ، لَيَنْحِرنَّ أحدهم عند الكعبة . وقد تحقق له ما أراد ، فشرع في الوفاء بالنذر ، وجمع أولاده ، وأعطى كل واحد منهم قدحًا ، وطلب من كل واحد منهم أن يكتب اسمه فيه . ولما فعلوا ما أمرهم به : « دخل بهم على الصنم هُبَل (الذي كان قائمًا) في جوف الكعبة . وقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بَنيَّ هؤلاء ، لِيُعلم مَن الذبيح من بينهم . وقام عبد المطلب عند هُبل يدعو الله » .

- ضرب صاحب القداح على أولاد عبد المطلب ، فخرج القِدْح على عبد الله !

- وأخذ عبد المطلب ولده الحبيب عبد الله إلى الكعبة لكي يذبحه هناك وفاءً بنذره . واعترض القوم عليه ، واقترحوا عليه الذهاب إلى عَرَّافة بالحجاز اسمها سجاح ، لعلها تجد له مخرجًا من المأزق الذي وقع فيه .

- وذهب عبد المطلب إلى العرافة ، وشرح لها القصة ، فاقترحت عليه أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشرة من الإبل ، فإن خرجت على الإبل

ذبحوها وانتهى الأمر . وإن خرجت على عبد الله زادوا عدد الإبل . وكرروا الضرب حتى تخرج عليها . وتكرر الضرب حتى بلغ عدد الإبل مائة[1].

- وهكذا نجا عبد الله من الذبح . وفرح بذلك عبد المطلب ، وانتهز الفرصة ليزوجه[2].

- فيقول الخبر إن عبد المطلب انصرف ومعه ولده عبد الله : « حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة . . . وهو يومئذ سيد بني زهرة سنًّا وشرفًا ، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها »[3]. وهذا الخبر يتسق مع ظروف الحدث ، ولا يجد المرء أية شائبة يمكن أن تهز ثقته في صحته .

● الوحي في الصورة الأرضية ومنخار عبد المطلب !

- لكن القمني يأخذ براوية أخرى ، الوحي فيها حبر يهودي - بدلاً من جبريل - وكان عبد المطلب محظوظاً لأنه قابل ذلك الحَبْر في اليمن وبشره ببشرى عظيمة !

- لقد طلب الحبر اليهودي فحص منخار الزعيم القرشي الكبير ، فوافق ولم يعترض ، وكانت المفاجأة المذهلة أنه رأى في منخاره نبوة وملكاً ! وقال الحبر أو العراف : إن بني زهرة شركاء له في النبوة والملك ، وعليه أن يصهر إليهم !

- وصدّق الزعيم القرشي النبيل ما قاله الحبر ، فأسرع - بعد عودته إلى مكة - إلى بني زهرة يطلب مصاهرتهم بتزويج ولده عبد الله من ابنتهم آمنة بنت وهب الزهرية .

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ ١/١٠٠-١٤٢ ؛ وابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ٢/٢٤٩-٢٥٤

(٢) ابن كثير ؛ ٢/٢٤٩-٢٥٤

(٣) المرجع السابق .

- وقد تحققت نبوءة الحبر اليهودي فأنجب عبد الله وآمنة محمداً ، الذي صار بعد أربعين سنة نبيًّا وملكا[1].

● وهكذا وجدنا القمني يعزف عن الخبر الصحيح الذي يخلو من الخرافة ، ومن المبالغة ، ويأخذ بخرافة مضحكة لا يسيغها عقل طفل ! وسنجده يبني عليها قصة « حزب بني هاشم » ، وتدبير أمور النبوة المحمدية ، وإنشاء الدولة الإسلامية ! فهذه الأحداث الكبرى خرجت كلها من منخار عبد المطلب وبوحي من الحبر اليهودي !

- والباحث المنصف يرى أن من غير المعقول أن يسمح عبد المطلب ـ الرجل الكبير الحكيم ـ لدجال أن يعبث بمنخاره ، ثم يعبث بعقله بعد ذلك .

- والظاهر أن قصة منخار عبد المطلب قد راقت للقمني ، فوجدناه يكررها مرة أخرى[2].

- ويلاحظ هنا أن القمني نسي موقفه المعادي للصهيونية ، فاحتضن الخرافة العبرانية ، لكنه يرفض قصة سيدنا موسي القرآنية . فهو مؤيد لفرعون جدنا المصري ضد نبي الله موسى ، العبراني ! ! ولا يهمه أن القرآن الكريم أدان فرعون وظلمه ، وامتدح موسى نبي الله الكريم .

● هذه التناقضات والخرافات لدى القمني مردُّها إلى رغبته العارمة في إقناع القارئ بصحة الصورة الأرضية البشرية المادية للبعثة المحمدية . ففي هذه الصورة الأرضية البشرية المادية للبعثة المحمدية . الذي يُوحي بالنبوة بَشَر ، والذي تلقاها بَشر ، فلا جبريل ولا تنزيل ولا « اقرأ » ولا ملائكة ولا صلة بين السماء والأرض !

وتهتز صورة عبد المطلب في يده مرة أخرى ، فينسب إليه التخطيط الاستراتيجي للنبوة والمُلك ، وهو الذي سلَّم منخاره الشريف لدجال يمني ،

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ ١/١٥٦

(٢) الحزب الهاشمي ؛ ص ٢٨

وسلَّم بصدق الوحي الذي أوحاه إليه ! وتصطدم صورة عبد المطلب في رسم القمني مع الحقائق التاريخية . فعبد المطلب وقف في جوف الكعبة إلى جوار الصنم الأكبر «هُبل» وراح يدعو الله أن ينجي ولده . وهو يحتكم إلى عرَّافة للبت في مصير ولده الحبيب . وهذا يتناقض مع صورة عبد المطلب الذي ينسب إليه القمني وضع مفهوم جديد للاعتقاد لجمع العرب على إله واحد ، وتأسيس ملَّة ، وأن حفيده محمدا هو نبي هذه الأمة وموحدها . وتوكيد أن عبد المطلب كان يعلم بكل ذلك علماً يقينًا مسبقًا .

- ومن الجلي أنه لو كانت أوهام القمني صحيحة لكان عبد المطلب هو النبي ، ولكان أعلم أولاده بنبوته ، ولكان أول الرافضين للأوثان وأولهم «هُبل». لكن شيئاً من هذا لم يحدث وظلت الأوثان قائمة والمشركون يعبدونها إلى أن حطمها رسول الله ﷺ بعيْد فتح مكة .

- وقد مات عبد المطلب ، وحفيده محمد لم يكن قد بلغ الثامنة بعد ولم يؤثر عنه أنه قال لمحمد إنه سيكون نبي هذه الأمة وملكها . ولم يؤثر عنه أنه قال له أو لأحد من أولاده : لا تعبدوا إلا الله الواحد الأحد . ولم يصرح عبد المطلب لأحد بأنه على عقيدة جديدة تخالف ما كان عليه آباؤهم . وحتى ولده أبو طالب رفض أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ بقبول التوحيد . وهذا موقف معروف للجميع .

● ملَّة إبراهيم الحنيفية . . . الحقيقة والأكذوبة

- وحاول القمني أن يجعل ملة إبراهيم ، عليه السلام ، هي مصدر الصورة الأرضية البشرية لبعثة النبي محمد ﷺ فهو يزعم أن الحنيفية انتشرت : «وبدأ أتباعها يتنافسون في التقوى والتسامي الخلقي عَلَّ أحدهم يكون نبي الأمة وموحد كلمتها ، حتى شكلوا تياراً قويًّا . خاصة قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة»[1] .

---

(١) الحزب الهاشمي ؛ ص ٢٩

● والحق أن محمدًا ﷺ اتبع ملة إبراهيم التي هي الإسلام ، دين التوحيد ، وقد تلقاها وَحْيًا من عند الله تعالى . فيقول الحق جل شأنه : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النحل:١٢٣) أي أن النبي ﷺ تلقاها وَحْيًا من عند الله تعالى ولم يلتقطها من أفواه الشعراء الجاهليين .

- ويقول الحق تبارك وتعالى ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾(الأنعام ١٦١).

● والحق أن ما وُرث عن ملة إبراهيم وبقي يتردد في أقوال الحكماء وشعر الشعراء لم يتجاوز شذرات وحقائق مبتورة ومبادئ أخلاقية ملتبسة لا يمكن أن تشكل دينًا بعقائده وتشريعاته وأخلاقياته . وكان الوحي الإلهي إلى محمد ﷺ يصوِّب الحقائق التي شوِّهت ، ويرفض ما علق بها من خرافات وانحرافات ، وما غَشَّى عليها من شِركيات ووثنيات .

- الشعراء والحكماء الذين عرفوا التوحيد

● وتذكر المصادر الإسلامية أسماء الشعراء والحكماء الذين عرفوا التوحيد، أو كرهوا الظلم ، أو اعتزلوا الأصنام ، أو كفوا عن شرب الحمر ، وغير ذلك من الدَّنايَا والموبقات . وكانت بواعثهم على ذلك : الترفع والأَنَفة . وقد عبَّر عن ذلك أحدهم فقال :

- تركتُ شرب الراح وهي أثيرة . . والمومسات وترك ذلك أشرف .

- وقد تحدثت المصادر عن :

- عبد المطلب بن هاشم

- وزيد بن عمرو بن نفيل

- وقس بن ساعدة الإيادي

- وقس بن عامر التميمي

- وصفوان بن أمية الكناني

- وزهير بن أبي سلمى المزني

- وأمية بن أبي الصلت الثقفي[1].

- وتوسع القمني إلى حد كبير جدًا في النقل عن هؤلاء الشعراء ، لينتهي إلى الإيعاز للقراء بأن ما ورد في شعرهم وأقوالهم هو نفسه الذي ورد في القرآن ، لكي يرسِّب في ذهن القارئ أن النبي محمدًا اقتبس ذلك التراث ووضعه في القرآن .

- فالقرآن ـ على ذلك ـ تراث بشري لا صلة له بالسماء ولا دخل فيه لجبريل . إنه من إفرازات البيئة المكية التي كانت بحسب القمني حُبلى بدين جديد .

● وهذه هي الصورة الأرضية البشرية للبعثة المحمدية . وهي صورة مزورة ومختلقة . فقد عرف العرب شذرات من ملة إبراهيم ، لم تتجاوز بعض الأفراد ، وقد جثمت الوثنية بأصنامها العديدة على قلوب الملايين وعقولهم فلم يسمع عن ملة إبراهيم إلا قلة قليلة في كل عصر .

- ويقال إن «عمرو بن لحي» كان أول مَن نصب الأصنام في الكعبة ، ثم اتبعه الجهلة من عُبَّاد الأوثان : «وبدَّلوا ما كان الله بعث إبراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم ، من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له ، وتحريم الشرك . وغيروا شعائر الحج ومعالم الدين». «ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل». [2] ثم تكاثرت أعداد الأصنام لدى القبائل المختلفة .

● وكان من الطبيعي ألا يتقبلوا دعوة النبي ﷺ ، وأن يقولوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص:٥) وقاتلوا المسلمين قتالاً مريراً ،

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ جـ ١ ، والملل والنحل ، للشهرستاني ؛ جـ ٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ؛ جـ ٢ .

(٢) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ١/١٩٤ ، ١٩٥ .

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص:٦) واضطر المسلمون ، وهم قلة قليلة ، إلى الهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى يثرب فراراً بدينهم . ولم يذكر المؤرخون أن أحداً من أتباع ملة إبراهيم قد أشفق على المسلمين الضعفاء المضطهدين أو انضم إليهم ضد المشركين ، لأنه لم يكن هناك أحد منهم أصلاً !

- هذه الحقائق تكذب مزاعم القمني أن مكة كانت تشهد تياراً قوياً من أتباع الحنيفية .

- ولقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الجاهليين كانوا يقرون بوحدانية الله : «غير أنهم كانوا يشركون في عبادته ما كانوا يشركون فيها ، فقال ﷻ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف:٨٧) [١] ووصفهم القرآن الكريم بالمشركين في عشرات الآيات ، وأدانهم إدانة منكرة . ولم يذكر أحداً ممن كان على ملة إبراهيم الحنيفية ، لأنه لم يكن يوجد منهم أحد في مكة في فترة نزول القرآن .

● الأديان التي عرفها العرب

- وذكر المؤرخون أن العرب عرفت النصرانية واليهودية والمجوسية والزندقة .

- كانت النصرانية في ربيعة ، وغسان وبعض قضاعة .

- وكانت اليهودية في حمير ، وبني كنانة ، وبني الحارث بن كعب ، وكندة ،

- وكانت المجوسية في تميم .

- وكانت الزندقة في قريش ، أخذوها من الحيرة .

- وكان «بنو حنيفة» اتخذوا في الجاهلية إلهًا من حيس [٢] فعبدوه دهراً طويلاً ، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه [٣].

---

(١) تفسير الطبري ؛ ١/٣٧١ .

(٢) الحيس : تمر وأقِط وسمن تخلط وتعجن وتسوَّى كالثريد .

(٣) ابن قتيبة ؛ المعارف ؛ ص ٦٢١ .

● وهكذا ذُكرت أديان القبائل ، ولم تُذكر الحنيفية من بينها . ونحن نلاحظ أن الزندقة كانت في قريش ، وهي أبعد الأفكار عن التوحيد وعن ملة إبراهيم .

- فأين تيار الحنيفية القوي الذي تحدث عنه القمني؟ !

- إن ذلك التيار لم يوجد أصلاً ، ولم يكن قويًا ولا ضعيفًا . ولكن القمني يريد أن يقدم مصدرًا أرضيًا بشريًا للوحي ، ليحل محل جبريل في الصورة الحقيقية للبعثة المحمدية .

● لقد عبد العرب الأصنام في جاهليتهم ، وأطبقت عليهم الوثنية بظلامها وظُلماتها ، وجاء القرآن من عند الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور . فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (إبراهيم:١) وقال أيضًا ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (الحديد:٩) وهذه الظلمات هي التي يزعم القمني أنها كانت تيارًا قويًا من التوحيد على ملة إبراهيم كان يضيء جنبات البيئة المكية !

- عبَدَ الجاهليون الأصنام : «وَدًّا» و«سواعًا» و«يغوث» و«يعوق» و«نَسْرًا» . وكان «وَدًّا» لـ«كلب» وهو بدومة الجندل ، و«سُواع» لـ«هُذيل»، وكانوا يحجون إليه وينحرون له . و«يغوث» لـ «مذحج» ولقبائل من اليمن ، و«يعوق» لـ«همدان» و«نَسْر» لـ«كلاع» بأرض حمير ، وكانت «اللات» لـ«ثقيف» بالطائف ، و«العزى» لـ«قريش» وجميع بني كنانة وقوم من سليم ، و«مناة» للأوس والخزرج وغسَّان . و«هُبل» أعظم الأصنام عندهم ، وكان على ظهر الكعبة ، و«إساف» و«نائلة» على الصفا والمروة . وكان لـ«بني ملكان» من كنانة صنم يقال له «سعد»[1].

---

(١) الشهرستاني ؛ الملل والنحل ؛ ٣/٧٧ ، ٧٨ .

- ومن العرب مَن كان يَصبُوا إلى الصابئة . . ومنهم من كان يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم ، بل كانوا يعبدون الجن[1]. وقد أنكر عُبَّاد الأوثان الرسل . وبعضهم أنكر بعث الأجسام[2].

● ويقول «ج . سال» إن ما قابله محمد وأتباعه في كل اتجاه لم يكن إلا خرافات منفرة ووثنية منحطة ومخجلة . . »[3] وهذا هو الوصف الحديث للظلمات الدامسة التي تحدث عنها القرآن الكريم في كثير من آياته .

- الموقف الإسلامي من التراث الجاهلي

● والموقف الإسلامي يظهر بوضوح حين نتذكر ما أبطله الإسلام وأنكره ، لا حين نقف عند ما أخذه وقبله . والباحث المغرض يقف عند ما أخذه الإسلام ، ويغفل ما أنكره وأبطله ، وذلك حين يريد أن يجرِّد الإسلام من أصالته وتجديده وتصحيحه . وهذا هو ما سعى القمني للترويج له .

- إن من أهم مبادئ الإسلام قبول الحق من أي مصدر جاء ، وكذلك إنكار الباطل ودحْضه وإسقاطه والجهاد ضده . وقد ساد هذا المبدأ منذ اللحظة الأولى للبعثة المحمدية ، ولا يزال حاكمًا في الموقف الإسلامي من الثقافة الغربية إلى اليوم . وقد استدعى هذا المبدأ عمليات فحص وفرز وتقويم واسعة النطاق لتمييز الحق من الباطل والصالح من الفاسد . ولم يتردد المسلمون في قبول بعض ما كان لدى الجاهليين ، لكنهم أنكروا تلالاً من الأفكار والعقائد والتقاليد التي كانت سائدة . والقمني سار على النهج الأحادي الخاطئ ، فأنفق صفحات من كتاباته لكي يعثر على كلمة أو عبارة تشبه شيئًا من آيات القرآن الكريم ، بُغية تسريب الاعتقاد بأن الوحي الذي أملَى القرآن هو التراث الذي كان سائدًا في ذلك الزمان . فالقرآن أنكر الوثنية لأن الشاعر الفلاني اعتزل

---

(١) الشهرستاني ؛ الملل والنحل ؛ ٨٢/٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٣) نقلاً عن دكتور محمد عبد الله دراز ؛ مدخل إلى القرآن الكريم ؛ ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

الأوثان والإسلام أوجب العدالة وأدان الظلم لأن بعض زعماء العرب نفر من الظلم ، والإسلام حرم الفحشاء لأن أحد الشعراء تعالى على المومسات !

- والقرآن يعلِّم المسلمين أن يأخذوا المعروف ـ وهو يشمل كل حق وكل خير ، وينهاهم عن المنكر ـ وهو كل باطل وخطأ . فيقول ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤) ويقول سبحانه : ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (الأعراف:١٥٧) فمن الواجب على الأمة المسلمة أن ترحب بكل حق وصواب وصلاح لدى الأمم الأخرى . وقد نص القرآن الكريم على وحدة الديانتين ـ الحنيفية الإبراهيمية والإسلام . فالحنيفية اسم آخر للإسلام وقد أخذ كثير من الشعراء والحكماء أجزاء من تراث الحنيفية . ولذلك قبل الإسلام ما أخذوه بعد تمحيصه ونقده وتطهيره من الأدران التي علقت به . وجاءت في القرآن آيات تأمر بعقائد التوحيد التي عرفتها الحنيفية ومن قبلها أنبياء الله من آدم إلى عيسى ، عليهم السلام . فمن السخف وقصر النظر أن يتخيل باحث أن محمدًا لم يتلق وحيًا من السماء ، ولكنه ألف القرآن من ذلك التراث الذي كان متناثرًا في شعر العرب ، كما أراد القمني أن يقنع قراءه .

● وقد عني بعض الباحثين المسلمين ببيان ما أقره الإسلام من تقاليد العرب وما أنكره منها .

- قال الشهرستاني نقلاً عن محمد بن السائب الكلبي : « كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها : كانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات ».

« وكان من أقبح ما يصنعون أن يجمع الرجل بين الأختين ، أو يختلف على امرأة أبيه (يعني يتزوجها بعد وفاة أبيه !) ».

- «وكانوا يطلقون ثلاثًا على التفرقة»[1].

- «وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويُحْرمون» . . . ويطوفون بالبيت سبعًا ، ويرمون بالحجر ، ويسعون بين الصفا والمروة . . وكانوا يلبُّون ، إلا أن بعضهم كان يشرك في تلبيته في قوله : إلا شريك هو لك تملكه وما مَلكَ».

- فما معنى هذا؟

● لقد أقر الإسلام الصواب ورفض الخطأ .

«وكانوا يكرهون الظلم في الحَرَم»[2].

● وجاء الإسلام بكُرْه الظلم والظالمين في الحرم وفي كل مكان وزمان .

« ومنهم مَن كان ينسئ في الشهور» .

● فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة:٣٧)

«وكانوا إذا ذبحوا للأصنام لطخوها بدماء الهداية ، يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم»[3].

● وحرَّم الإسلام الذبح لغير الله وبذلك قضى على ذلك التقليد نهائيًا .

● ونهى بعضهم عن عبادة الأصنام ، فلقيَ من قريش شرًا .

● وجاهد المسلمون وقاتلوا وقُتِلوا حتى قضوا على الأصنام والأوثان ودخل العرب في دين الله أفواجًا .

● «وكانوا يغتسلون من الجنابة ، ويغسلون موتاهم»[4].

● وأيَّد الإسلام ذلك وجعله فريضة دينية .

«وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم» .

---

(١) الملل والنحل ؛ ٣/٩٠ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٩٢ .

(٣،٤) الملل والنحل ؛ ٣/٩٣ .

● واعتمد الإسلام التكفين ، والصلاة على الميت ، ولكنه أتى بقواعد جديدة للتكفين ، وصلاة إسلامية لم يعرفها المشركون .

● «وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلي بها إبراهيم . . المضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب والفرق ، والسواك . . . والاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط» .

● فلما جاء الإسلام قررها من السنن»[1].

■ وهكذا أيَّد الإسلام كل صواب ودعَّمه ، كما نبذ كل خطأ وحرَّمه . وبذلك أسس حياة جديدة نظيفة طاهرة .

● وفي نظام الزواج اتخذ الجاهليون أربعة أشكال :

- فكان الرجل يخطب المرأة ثم يتزوجها - وهذا الشكل هو ما تبناه الإسلام وضبطه لكي يحفظ حقوق الزوجين والأولاد والمجتمع .

- وكانت المرأة يكون لها خليل يختلف إليها ، فإن ولدت قالت هو لفلان ، فيتزوجها بعد ذلك . وقد حرَّم الإسلام ذلك ، لأنه زنا صريح .

- وكانت المرأة يختلف إليها النفر ، وكلهم يواقعها في طهر واحد . فإذا ولدت ألزمت الولد أحدهم . وتلك دعارة وفاحشة مبينة حرَّمها الإسلام .

- وكانت النساء البغايا والداعرات ، يختلف إليها كثير من الرجال ، وكلهم يواقعها . فإذا ولدت جمعوا لها القافَّة ، فيلحقون الولد بشبيهه»[2]. وهذه دعارة وفاحشة مبينة ، فحرَّمها الإسلام .

● ففي نظام الزواج يظهر «المعروف» أو «الصواب» الذي قبلَه الإسلام ويظهر «المنكر» الذي حرَّمه . وبهذا الموقف المبدئي طهَّر الإسلام الحياة الاجتماعية من الفوضى الجنسية العفنة التي كانت تفسد على القوم حياتهم

---

(١) الملل والنحل ؛ ٣/٩٤ .

(٢) الشهرستاني ؛ الملل والنحل ؛ ٣/٩١ .

الاجتماعية بما تفضي إليه من أمراض ومشكلات للرجال والنساء والأولاد المساكين المولودين من سفاح .

- ولم يستق محمد ﷺ النظام الإسلامي من شعر الشعراء ولا من أقوال الحكماء ، وإنما من الوحي الذي تنزل عليه من السماء على امتداد ثلاثة وعشرين عامًا بما هو حلال وما هو حرام في علاقة الرجال بالنساء . ولا يزال هذا النظام هو صمام الأمان للأمة المسلمة في مواجهة الغزو الغربي الذي تحلل من كل القواعد والقيم ، اللهم إلا قلة قليلة من الأشراف الذين يتمسكون بالنظام اليهودي أو المسيحي وقيم العفة والطهارة .

● وبصفة عامة فعند مجيء الإسلام كانت شرائع الله التي عرفها العرب إما مبدلة وإما منسوخة ، وكان بعضها مجهولاً وبعضها متروكًا[1] .

- لقد رفض الإسلام الخطأ ، وأقر الصواب ، ونقّى المحرف من شوائب التحريف ـ فعل الإسلام ذلك في العقائد والتشريع والأخلاق جميعًا :

أ- رفض عقائد التعدد والتجسيد ، وأكد بقوة على عقيدة التوحيد الخالص .

ب ـ رفض المبدأ التشريعي الساذج الذي يبيح محاكمة الحيوان ، والذي كان معتمدًا لدى اليونان والرومان واليهود[2] . وأرسى التكليف والمسئولية القانونية والخلقية على العقل ، كما جعل « جناية العجماء جُبار » .

جـ ـ وفي التشريع والأخلاق نبذ الإسلام مبدأ العنصرية الضيق المتخلف ، وأكد مبدأه الإنساني الذي لا يفرق بين الأجناس والألوان ؛ وكانت العنصرية شريعة أساسية لدى اليهود لم تنبذها المسيحية في صدرها الأول على الأقل .

وهذا المبدأ الإنساني أحدث ثورة في الأخلاق والتشريع جميعًا .

---

(١) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ؛ ط ٢ ص ٢ .

(٢) دكتور دراز : دستور الأخلاق في القرآن ؛ ص ٢٦٦ .

د ـ وفي التشريع أقر مبدأ الدية في الجرح والقتل ، وكان من مبادئ العرب ، ولم يكن في التوراة إلا العفو أو القصاص[1].

هـ ـ وفي التشريع أيضًا رفض الإسلام تقرير الرق كجزاء للسرقة ، وقد كان ذلك في الشرائع السابقة [2] ، وبذلك قفل بابًا واسعًا من أبواب الاستعباد وخطا خطوة كبرى نحو تحرير الإنسان .

و ـ أنشأ الإسلام مبدأ المسئولية الفردية وألغى المسئولية الجماعية الذي كان معمولاً به لدى العرب . وهذه ثورة أخرى لا تقل عن إلغاء العنصرية وتوكيد المبدأ الإنساني .

ز ـ واستكمالاً لمبدأ المسئولية الفردية ألغى الإسلام فكرة الإدانة الشاملة للجنس البشري ولم يقبلها ضمن عقائده ، وهي التي تمثل صلب عقيدة المسيحيين ، وأقر مبدأ : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(النجم:٣٨) . وهذا المبدأ يكفي وحده لإنتاج سلسلة من الفروق بين الشريعة المسيحية والشريعة الإسلامية ، أوَّلها رفع الظلم الذي تعنيه المسئولية الجماعية .

وهكذا نجد في كل ناحية : «نوع مغايرة يتميز بها دين الله المحكم عما قد نُسخ أو بُدِّل»[3] . بهذه المبادئ الأصيلة أكمل الإسلام النظامين التشريعي والأخلاقي[4] ، وبسببها قرر جمهور المسلمين أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا إلا إذا قام دليل على أن ديننا يطالبنا به .

- الحقائق المطلقة والأحكام الظنّية

● فلا بد لنا هنا أن نتذكر الفروق الأساسية بين الحقائق المطلقة ، والأحكام الظنّية . فالحقائق المطلقة ثابتة خالدة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

---

(١) روح المعاني ؛ ١٥٠/٦ .

(٢) المرجع السابق ؛ ١٣٤/٦ .

(٣) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٧٧ .

(٤) دكتور دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ص ٨ ، ٩ .

والمبادئ الرياضية هي الأنموذج للحقائق المطلقة . فقواعد الجمع والطرح والقسمة في علم الحساب ثابتة لدى جميع الأمم ، في جميع العصور . ومن ثمَّ لا يجوز أن يقال إن أمة نقلتها عن أمة أخرى . والمبادئ الأخلاقية مثل القواعد الرياضية ، ثابتة خالدة مطلقة . فاحترام العهد فضيلة عند جميع الأمم ، وهو شرط جوهري لاستقامة الحياة البشرية [1].

- وهذه المطلقات هي التي انتقلت من الحقب الزمانية القديمة إلى الحقب التالية ، ولقيت القبول والاحترام من شعوب الأرض . ومن تلك المطلقات الاعتقاد بوجود إله واحد خالق لهذا الكون وإن حدث الاختلاف في تصوره . وإذا قيل إن الملاحدة لا يعترفون بالخالق فإنهم يواجهون معضلة تفسير وجود المخلوقات ، الأمر الذي يثبت خطأ فكرة الإلحاد ، ويدعم الاعتقاد بوجود الخالق ﷻ .

● والإسلام يعتمد عددًا من المطلقات في العقيدة والشريعة . وهي ثوابت في كل رسالات أنبياء الله . وتوحيد الله يأتي على رأس هذه المطلقات . والقرآن كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه حقيقة مطلقة ، فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة:٢) وقد تحدّى المعارضين من المشركين فقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٣) والبعث ويوم القيامة لا ريب فيه . قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (النساء:٨٧) هذه نماذج للحقائق المطلقة في الإسلام ، ولا ريب فيها . وهي هكذا منذ آدم إلى محمد ، ولدى جميع الأنبياء . وبقي بعضها في التراث العربي حتى زمن البعثة المحمدية .

● لكن في الإسلام أحكامًا ظنية : وهذه الحقيقة يتناساها العلمانيون بقصد الإساءة إلى الإسلام وتصويره على أنه دين جامد لا يقبل أي تغيير أو تبديل . وهذه الآفة المنهجية ملحوظة في كتابات القمني .

---

(١) نيكولاي هارتمن ؛ مبادئ ميتافيزيقا المعرفة (بالفرنسية) ١/٢٨٩ .

- وأصل الموقف العلماني هو تبني «النسبية» أو «السفسطة» التي تزعم أن القواعد والحقائق تتغير بتغير الزمان والمكان ، دون تمييز بين المطلقات والظنيات .

- وقد ميز الإمام الشاطبي رحمه الله (توفي ٧٩٠هـ) بين الثوابت والمتغيرات فقال : العوائد المستمرة ضربان ، أحدهما : العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها . ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجابًا أو ندبًا أو نهى عنها كراهةً أو تحريمًا ، أو أذن فيها فعلاً وتركًا . والضرب الثاني : هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي ؛ فأما الأول فثابت أبدًا ، كسائر الأمور الشرعية ، [1] والثاني قابل للتغيير .

● وقد خلط كثير من العلمانيين بين :

- الحقائق ،

- ومعرفة البشر بها .

- وقد أدى ذلك الخلط إلى اضطراب كبير وتشويش في مختلف المجالات العلمية ؛ فقيل إن الحقائق متغيرة . وضُرب المثل بدوران الأرض حول الشمس حيث اعتقد البشر أن الشمس هي التي تدور حول الأرض ، ثم ظهر أن العكس هو الصواب . لكن الحقيقة الثابتة المطلقة هي أن الأرض هي التي تدور حول الشمس ، وأن «معرفة البشر» بتلك الحقيقة هي التي تغيرت مع تقدم البحوث في المسألة . فبصفة عامة : الحقائق ثابتة ، ومعرفة البشر بها هي التي تتغير .

- هذه الحقائق معروفة لدى العلماء منذ مدة طويلة . لكن بعض الكُتَّاب أعجبوا بالخطأ وظلوا يتناقلوه جيلاً بعد جيل ، حتى صار مُسَلَّمة عندهم !

- وفي الإسلام هناك مجال يُسمّى مجال العفو ، وهو الذي أشار إليه الإمام الشاطبي ، حيث تستند الأحكام إلى المصلحة واجتهادات العلماء في تقديرها .

---

(١) الموافقات ؛ ٢/٢٨٣ ، ٢٨٤ .

وقد تتغير تلك الأحكام الظنية بحسب المصالح . وبذلك تسمح بالتطور والتغيير في مجالات عديدة إدارية وفنية وتربوية . ولهذا استوعب المجتمع المسلم التطورات الحديثة التي لا تتنافى مع النصوص الشرعية ومقاصد الشرع ومبادئه . فالمطلقات ضمنت للمسلمين الحفاظ على هويتهم المتميزة . والمتغيرات سمحت لهم بالتطوير والتغيير في المجالات المختلفة .

* * *

obeikandl.com

البيت الحرام في الصورة العلوية
في مواجهة الصورة المزورة عند القمنى

البيت الحرام في الصورة العلوية

وردت في القرآن الكريم عدة آيات حددت الصورة العلوية لبيت الله الحرام. وسوف نرى كم هي متناقضة مع الصورة الأرضية البشرية التي رسمها القمنى.

يقول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾

(آل عمران:٩٦،٩٧)

ويقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾

(البقرة:١٢٥،١٢٦)

وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٧)

وقال جل ثناؤه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم:٣٧).

وقال ﷻ: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٧).

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج:٢٥)

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الحج:٢٦)

● فالبيت الحرام هو أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده ، وبأمر من الله تعالى . وقد جعله الله تعالى مباركاً وجعله مأمناً لكل ضعيف ومظلوم ومستجير . والله تعالى هو الذي شرف نبيه إبراهيم ببنائه ومعه ولده إسماعيل ، وهو نبي فكانا يرفعان القواعد ويتضرعان إلى الله أن يتقبل منهما . والله تعالى هو الذي حدد مكان البيت ، وأمر ببنائه وتطهيره ، وعهد بذلك لأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، ليكون مسجدًا للمصلين القائمين والركع السجود ، على دين التوحيد والبراءة من الشرك والمشركين . وتضرع إبراهيم إلى ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى ذريته التي أسكنها إلى جوار بيته الحرام في واد غير ذي زرع ، لكي يستطيعوا أن يعيشوا وأن يقيموا الصلاة ، وسأل الله تعالى أن يرزقهم من الثمرات .

واستجاب الله تعالى لدعاء نبيه الكريم فصار البيت الحرام في أبهى صورة وأعظم مكانة ، وحج إليه الملايين من الموحدين ، وحملوا إلى أهله الخيرات والأرزاق من كل صنف ولون ، وعمت البركات البيت وأهله وكل من قصده واحتمى به أو استجار ، وتشرف بالطواف والصلاة فيه .

● وأورد المؤرخون المسلمون أخبارًا عديدة ، تنسب بناء البيت الحرام إلى آدم عليه السلام ، وتقول إن البيت الذي بناه آدم تهدم في عهد نوح بفعل الطوفان ، ثم بناه إبراهيم من جديد .

قال محمد بن سعد : «وأوحى الله إلى آدم : إن لي حرماً بحيال عرشي ، فانطلق فابن لي بيتاً فيه ، ثم حِفَّ به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي ، فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي»[1].

فكانت الملائكة أول من طاف به[2].

ـ لكن ابن كثير ينفى أن يكون البيت الحرام مبنيًّا قبل إبراهيم عليه السلام، ويقول: «لم يجيء خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيًّا قبل الخليل عليه السلام»[3].

ـ وفى اعتقادي أن ما قاله ابن كثير هو الصواب . ونحن يكفينا ما قاله كتاب الله تعالى لكي نرى الصورة الإلهية العلوية الباهرة للبيت الحرام . ومع هذا لا نغفل ما قاله المؤرخون المسلمون ، بل ننظر فيه ونقدره .

الشهرستاني :

– وذكر الشهرستانى أن آدم عليه السلام لما صار إلى أرض مكة : «دعا وتضرع إلى الله تعالى كي يأذن له في بناء بيت يكون لصلاته ومَطَافاً لعبادته . . . فأنزل الله تعالى عليه مثاله ذلك البيت على شكل سرادق من نور ، فوضعه مكان البيت ، فكان يتوجه إليه ويطوف به»[4].

– و« . . . . لما انتهت النبوة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، وحَمْله هاجر (أم إسماعيل ابنه) إلى الموضع المبارك ، وولادة إسماعيل عليه السلام هناك . . . وعوْد إبراهيم إليه واجتماعه به في بناء البيت وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:١٢٧) . فرفعا قواعد البيت على مقتضى إشارة الوحي مرعيًّا فيها المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور ، وبقى الشرف العظيم إلى زماننا وإلى يوم القيامة دلالة على حسن القبول»[5].

---

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ ٥٠/١ .

(٢) تفسير الطبري ؛ ٤٤٨/١ .

(٣) البداية والنهاية ؛ ١٦٨/١ .

(٤،٥) الملل والنحل للشهرستاني ؛ ٧٧/٣ .

- «وأول من وضع فيه الأصنام «عمرو بن لحى بن غالوثة» جاء بصنم أسموه «هُبل» ووضعه في الكعبة ، وكان معه «إساف» و«نائلة» على شكل زوجين . . . فدعا الناس إلى تعظيمهما . . . والتوسل بهما إلى الله تعالى . . إلى أن أظهر الله الإسلام فأُخرجت وأُبطلت . . . »[1]

- وقال ابن قُتيبة إن أول من بنى البيت الحرام آدم عليه السلام . وبعد آدم بنى أولاده في موضع الكعبة بيتاً من الطين والحجارة . ولما جاء الطوفان في زمن نوح عليه السلام نسفه وغفّى مكانه : «حتى ابتعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ، وحفر عن قواعده وبناه في ظل غمامة . فهو أول بيت وضع للناس» .

- ويقول : «أمر الله تعالى إبراهيم أن يبنى بيته ، فجاءت السكينة كأنها سحابة فيها رأس يتكلم ، له وجه كوجه الإنسان ، فقالت : يا إبراهيم ! خذ ظِلي فابن عليه . فَبَنى هو وإسماعيل البيت ، ولم يجعل له سقفاً . وحرس الله «آدم» و «البيت» بالملائكة يومئذ» . ثم قال إنه : ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:٩٦)[2].

- ومصدر هذا الخبر «وهب بن منبه» ، وهو من مسلمة بني إسرائيل ، الأمر الذي يُضْعفه ، لكن القرآن الكريم يعطيه وثاقة فيما جاء عن ذكر عن إبراهيم وإسماعيل وبنائهما البيت ، دون سائر الخبر .

- فماذا يقول القمنى عن البيت الحرام والكعبة والحجر الأسود؟

هل يأخذ بآيات القرآن؟ وهل يعطى أخبار المؤرخين أي اعتبار؟؟ أم يُغفل الآيات القرآنية ويعاندها ويدير ظهره لكبار المؤرخين؟

الصورة الأرضية المزورة للبيت الحرام :

● إن الصورة المزورة لا تستند إلى ما جاء عنها في كتاب الله ؛ وهذا طبيعي ، لأن القمنى لا يؤمن بهذا الكتاب . ثم إنه لو أخذ بما جاء فيه فلن يكون التزوير ممكناً .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ؛ ٣/٧٧ ، ٧٨ .

(٢) ابن قتيبة ؛ المعارف ؛ تحقيق دكتور ثروت عكاشة ؛ نشر الهيئة العامة للكتاب ؛ سنة ٢٠٠٢م ؛ ص ٥٥٩ .

- يقول القمنى : إن تعدد القبائل وتعدد الآلهة أدى إلى بناء بيوت عديدة - «بيوت حرام» ، «وقد اجتمع لبيت مكة من البيوت الحرام ما لم يجتمع لبيت آخر في أنحاء الجزيرة ، لأن مكة كانت ملتقى القوافل» . ويقول : «إن هذه البيوت كانت محرمة ، ولها أيامها الحرام ، لكن بيت مكة بالتحديد أخذ في التمايز لموقع مكة العظيم على طريق القوافل التجارية جميعًا»[1].

- فلا وحى ، ولا أوامر إلهية ، ولا إبراهيم ولا إسماعيل . فبيت مكة واحد من بيوت عديدة بناها الوثنيون لعبادة الأصنام ، ولم يتميز بيت مكة بشيء سماوي أو روحي ، بل بسبب موقعه على طريق القوافل التجارية !

- فالبيت الحرام بيت من الطين والحجارة بناه بشر من العرب الوثنيين ، فهو بناء بشرى أرضى لا صلة له بالسماء ولا بالأنبياء . وهذا هو التفسير المادي يطبقه القمنى على بناء البيت الحرام وعظمته .

- ويقول القمنى إن الحجر الأسود واحد من حجارة عديدة كانت تسقط من السماء ، وكانت كل كعبة إطاراً لحجر أسود : «وكذلك كانت الكعبة إطاراً لحجر أسود ، كما كانت باقي الكعبات تتسم بذات السمة ، فهي أطر لأحجار سود»[2].

- وهذه المزاعم نقلها القمنى عن المستشرقين اليهود والنصارى والملاحدة ، لكي يرسم الصورة الأرضية البشرية للبيت الحرام في مواجهة الصورة العلوية التي رسمها القرآن الكريم .

* * *

---

(١) الحزب الهاشمي ؛ ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ١٢ .